بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىٰ﴾ ٩ جُمَادَىٰ الْأُولَىٰ ١٤٤٧هـ

أَيُّهَا النَّاسُ: اتَّقُوا اللهَ؛ فَإِنَّ تَقْوَاهُ أَرْبَحُ تِجَارَةٍ وَبِضَاعَةٍ، وَاحْذَرُوا مَعْصِيَتَهُ؛ فَقَدْ خَابَ عَبْدٌ فَرَّطَ فِي أَمْرِ رَبِّهِ وَأَضَاعَهُ، وَعَلَيْكُمْ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ وَالْجَمَاعَةُ، فَخُذُوا بِهَدْيِهِمْ وَمَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الْمُعْتَقَدِ وَالْعَمَلِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ.

عِبَادَ اللهِ: أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ لِمَقَاصِدَ سَامِيَةٍ، وَحِكَمٍ جَلِيلَةٍ؛ فَهُوَ مِنْهَاجُ الْخَالِقِ لِإِصْلَاحِ الْخَلْقِ، وَكَانَ مِنْ أَهَمِّ مَقَاصِدِ نُزُولِهِ أَنْ يَكُونَ تَهْذِيبًا لِلنُّفُوسِ، وَإِصْلَاحًا لِلْقُلُوبِ، وَتَقْوِيمًا لِلطِّبَاعِ، وَدَلَالَةً لِلنَّاسِ إِلَىٰ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَنْ يَكُونَ الْحُجَّةَ الدَّامِغَةَ، وَالْبُرْهَانَ الْوَاضِحَ، وَالدَّلِيلَ الْمَلْمُوسَ عَلَىٰ صِدْقِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا بَلَّغَهُ عَنْ رَبِّهِ، عَلَىٰ تَعَاقُبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لَقَدْ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ السَّاعَةِ قِلَّةَ الْبَرَكَةِ فِي الزَّمَانِ، فَلَا يَسْتَفِيدُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْهُ، لَا فِي أُمُورِ الدِّينِ وَلَا فِي أُمُورِ الدُّنْيَا، أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، فَتَكُونُ السَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَتَكُونُ الْجُمُعَةُ كَالْيَوْمِ، وَيَكُونُ الْيَوْمُ كَالسَّاعَةِ، وَتَكُونُ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ بِالنَّارِ». قَالَ الْعَلَّامَةُ الْمُبَارَكْفُورِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تُحْفَةِ الْأَحْوَذِيِّ»: قَالَ التُّورْبَشْتِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: يُحْمَلُ ذَلِكَ عَلَىٰ قِلَّةِ بَرَكَةِ الزَّمَانِ، وَذَهَابِ فَائِدَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، أَوْ عَلَىٰ أَنَّ النَّاسَ لِكَثْرَةِ اهْتِمَامِهِمْ بِمَا دَهَمَهُمْ مِنَ النَّوَازِلِ وَالشَّدَائِدِ، وَشُغْلِ قَلْبِهِمْ بِالْفِتَنِ الْعِظَامِ، لَا يَدْرُونَ كَيْفَ تَنْقَضِي أَيَّامُهُمْ وَلَيَالِيهِمْ ...، وَقَوْلُهُ: «وَتَكُونَ السَّاعَةُ كَالضَّرَمَةِ» قَالَ الْقَاضِي رَحِمَهُ اللهُ: أَيْ كَزَمَانِ إِيقَادِ الضَّرَمَةِ، وَهِيَ مَا يُوقَدُ بِهِ النَّارُ أَوَّلًا كَالْقَصَبِ وَالْكِبْرِيتِ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ عُثَيْمِينٍ رَحِمَهُ اللهُ: إِذَا قِيلَ: مَا هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي يَجْعَلُ أَوْقَاتَنَا مُبَارَكَةً؟ قُلْنَا: ذِكْرُ اللهِ، وَدَلِيلُ ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ وَمَعْنَىٰ: ﴿أَمْرُهُ﴾: أَيْ :شَأْنُهُ كُلُّهُ، يَكُنْ فُرُطًا: لَيْسَ فِيهِ بَرَكَةٌ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِ اللهِ،

وَاتَّبَعَ هَوَاهُ نَزَعَ اللهُ الْبَرَكَةَ مِنْ عُمُرِهِ، وَهَذَا هُوَ حَالُ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ الْيَوْمَ -مَعَ الْأَسَفِ- أَنَّ اللهَ أَغْفَلَ قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِ، وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ، وَكَانَتْ أُمُورُهُمْ فُرُطًا، تَمْضِي عَلَيْهِمُ السَّاعَاتُ، بَلِ الْأَيَّامُ، وَهُمْ لَمْ يُنْتِجُوا شَيْئًا.

عِبَادَ اللهِ: الْإِسْلَامُ دِينُ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ، وَدِينُ السَّمَاحَةِ وَالْيُسْرِ، لَمْ يُكَلِّفِ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ إِلَّا بِمَا تَسْتَطِيعُ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾، وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»، وَأَخْرَجَ أَيْضًا عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَا هَذَا الْحَبْلُ؟» قَالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ تَعَلَّقَتْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا، حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ، فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَقْعُدْ».

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّهُ مَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَانِ: إِمَّا تَفْرِيطٌ، وَإِمَّا إِفْرَاطٌ. قَالَ الْعَلَّامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الْوَابِلِ الصَّيِّبِ مِنَ الْكَلِمِ الطَّيِّبِ»: وَمَا أَمَرَ اللهُ ﷻ بِأَمْرٍ إِلَّا وَلِلشَّيْطَانِ فِيهِ نَزْغَتَانِ: إِمَّا تَقْصِيرٌ وَتَفْرِيطٌ، وَإِمَّا إِفْرَاطٌ وَغُلُوٌّ، فَلَا يُبَالِي بِمَا ظَفَرَ مِنَ الْعَبْدِ مِنَ الْخَطِيئَتَيْنِ، فَإِنَّهُ يَأْتِي إِلَىٰ قَلْبِ الْعَبْدِ فَيَسْتَامُهُ، فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ فُتُورًا وَتَوَانِيًا وَتَرْخِيصًا أَخَذَهُ مِنْ هَذِهِ الْخِطَّةِ، فَثَبَّطَهُ وَأَقْعَدَهُ، وَضَرَبَهُ بِالْكَسَلِ وَالتَّوَانِي وَالْفُتُورِ، وَفَتَحَ لَهُ بَابَ التَّأْوِيلَاتِ وَالرَّجَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ، حَتَّىٰ رُبَّمَا تَرَكَ الْعَبْدُ الْمَأْمُورَ جُمْلَةً. وَإِنْ وَجَدَ عِنْدَهُ حَذَرًا وَجِدًّا وَتَشْمِيرًا وَنَهْضَةً، وَأَيِسَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنْ هَذَا الْبَابِ، أَمَرَهُ بِالِاجْتِهَادِ الزَّائِدِ، وَسَوَّلَ لَهُ أَنَّ هَذَا لَا يَكْفِيكَ، وَهِمَّتَكَ فَوْقَ هَذَا، وَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تَزِيدَ عَلَىٰ الْعَامِلِينَ، وَأَنْ لَا تَرْقُدَ إِذَا رَقَدُوا، وَلَا تُفْطِرَ إِذَا أَفْطَرُوا، وَأَنْ لَا تَفْتُرَ إِذَا فَتَرُوا، وَإِذَا غَسَلَ أَحَدُهُمْ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَاغْسِلْ أَنْتَ سَبْعًا، وَإِذَا تَوَضَّأَ لِلصَّلَاةِ فَاغْتَسِلْ أَنْتَ لَهَا، وَنَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْإِفْرَاطِ وَالتَّعَدِّي، فَيَحْمِلُهُ عَلَىٰ الْغُلُوِّ وَالْمُجَاوَزَةِ، وَتَعَدِّي الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، كَمَا يَحْمِلُ الْأَوَّلَ عَلَىٰ التَّقْصِيرِ دُونَهُ، وَأَنْ لَا يَقْرَبَهُ. وَمَقْصُودٌ مِنَ الرَّجُلَيْنِ إِخْرَاجُهُمَا عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، هَذَا بِأَنْ لَا يَقْرَبَهُ وَلَا يَدْنُوَ مِنْهُ، وَهَذَا بِأَنْ يُجَاوِزَهُ وَيَتَعَدَّاهُ. وَقَدْ فُتِنَ بِهَذَا أَكْثَرُ الْخَلْقِ، وَلَا يُنَجِّي مِنْ ذَلِكَ إِلَّا عِلْمٌ رَاسِخٌ،

وَإِيمَانٌ وَقُوَّةٌ عَلَىٰ مُحَارَبَتِهِ وَلُزُومِ الْوَسَطِ، وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ.

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ لِلتَّنَطُّعِ صُوَرًا كَثِيرَةً، مِنْهَا: الِابْتِدَاعُ فِي الدِّينِ، وَاسْتِحْدَاثُ صُوَرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ لَمْ تَكُنْ عَلَىٰ عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ الْقَائِلِ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ؛ تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ.

وَمِنْ صُوَرِ التَّنَطُّعِ التَّقَعُّرُ فِي الْكَلَامِ، وَالتَّشَدُّقُ بِاللِّسَانِ. بِتَكَلُّفِ الْكَلِمَاتِ الَّتِي تَمِيلُ قُلُوبُ النَّاسِ إِلَيْهَا؛ حَيْثُ لَا مَعْنًىٰ وَلَا مَضْمُونَ، وَلَا فَائِدَةَ تُرْجَىٰ مِنْ تَشَدُّقِهِ وَتَقَعُّرِهِ، بَلْ رُبَّمَا أَوْقَعَ النَّاسَ فِي شِرْكٍ أَوْ بِدَعٍ أَوْ مَعَاصٍ؛ وَمِنْ ذَلِكَ مَا يُشَاعُ عَبْرَ وَسَائِلِ التَّوَاصُلِ مِنْ مِثَالِ هَؤُلَاءِ الْمُتَشَدِّقِينَ؛ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ عَنْ أُمُورِ الْغَيْبِ الْمَجْهُولَةِ ، وَالْفُرُوقِ الْفِقْهِيَّةِ الْمُتَكَلَّفَةِ، وَالتَّفْرِيعِ عَلَىٰ الْمَسَائِلِ الَّتِي يَنْدُرُ وُقُوعُهَا، وَنَحْوِهَا، قَالَ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي: كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ». رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ أَحْمَدُ شَاكِرٍ رَحِمَهُ اللهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: اتَّقُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الِالْتِزَامَ بِشَعَائِرِ الدِّينِ الظَّاهِرَةِ، وَالْمُحَافَظَةَ عَلَىٰ حُدُودِ اللهِ، وَامْتِثَالَ أَوَامِرِهِ مِنْ وَاجِبَاتِ الدِّينِ، وَسَبِيلِ دُخُولِ جَنَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَلَا يَعُدُّهَا مِنَ التَّنَطُّعِ وَالتَّشَدُّدِ إِلَّا مَنْ يُرِيدُ التَّحَلُّلَ مِنَ الشَّرِيعَةِ، وَالطَّعْنَ فِي الْأَحْكَامِ الثَّابِتَةِ؛ فَإِنَّ التَّنَطُّعَ الْمَذْمُومَ هُوَ خُرُوجٌ عَنِ الشَّرِيعَةِ وَآدَابِهَا، فَكَيْفَ يَكُونُ الْتِزَامُهَا، وَالتَّمَسُّكُ بِهَا، وَالْعَضُّ عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ تَنَطُّعًا؟! **عِبَادَ اللهِ:** مَنْ تَأَمَّلَ فِي وَعِيدِ اللهِ لِلسَّالِكِينَ سَبِيلَ الشَّقَاءِ أَدْرَكَ أَنَّهُ لَا نَجَاةَ لِلْعَبْدِ إِلَّا فِي السَّعْيِ لِنَيْلِ رَحْمَةِ رَبٍّ كَرِيمٍ، وَمَعْرِفَةِ مَا يُوجِبُ لَهُ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ فِي الدَّارَيْنِ، وَيَصْرِفُهُ عَنِ الشَّقَاءِ وَالْعَنَاءِ فِي الْحَيَاتَيْنِ، **أَلَا وَإِنَّ مِنْ أَهَمِّ مَا يَصْرِفُ الْمُؤْمِنَ عَنِ الشَّقَاءِ مَا يَلِي:**

الْأَوَّلُ: الدُّخُولُ فِي الْإِسْلَامِ. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ

يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللهُ الرِّجْسَ عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَيْسِيرِ الْكَرِيمِ الْمَنَّانِ»: يَقُولُ تَعَالَىٰ -مُبَيِّنًا لِعِبَادِهِ عَلَامَةَ سَعَادَةِ الْعَبْدِ وَهِدَايَتِهِ، وَعَلَامَةَ شَقَاوَتِهِ وَضَلَالِهِ-: إِنَّ مَنِ انْشَرَحَ صَدْرُهُ لِلْإِسْلَامِ اسْتَنَارَ بِنُورِ الْإِيمَانِ، وَحَيِيَ بِضَوْءِ الْيَقِينِ، فَاطْمَأَنَّتْ بِذَلِكَ نَفْسُهُ، وَهَذَا عَلَامَةٌ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ قَدْ هَدَاهُ، وَمَنَّ عَلَيْهِ بِالتَّوْفِيقِ، وَسُلُوكِ أَقْوَمِ الطَّرِيقِ، وَأَنَّ عَلَامَةَ مَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُضِلَّهُ، أَنْ يَجْعَلَ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا. أَيْ: فِي غَايَةِ الضِّيقِ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْعِلْمِ وَالْيَقِينِ، لَا يَنْشَرِحُ قَلْبُهُ لِفِعْلِ الْخَيْرِ، كَأَنَّهُ يُكَلَّفُ الصُّعُودَ إِلَىٰ السَّمَاءِ، الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُ فِيهِ. وَهَذَا سَبَبُهُ عَدَمُ إِيمَانِهِمْ، هُوَ الَّذِي أَوْجَبَ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ الرِّجْسَ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ سَدُّوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَابَ الرَّحْمَةِ وَالْإِحْسَانِ، وَهَذَا مِيزَانٌ لَا يَعُولُ، وَطَرِيقٌ لَا يَتَغَيَّرُ، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ، يَسَّرَهُ اللهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَمَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ؛ فَسَيُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ.

الثَّانِي: مِنْ صَوَارِفِ الشَّقَاءِ: اتِّبَاعُ الْهُدَىٰ، وَالسَّيْرُ عَلَىٰ مَنْهَجِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِمَامِ الْأَتْقِيَاءِ ﷺ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًىٰ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾، بَلْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ أَنَّ اتِّبَاعَ الْهُدَىٰ يَصْرِفُ صَاحِبَهُ عَنِ الْخَوْفِ وَالْحُزْنِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. وَاتِّبَاعُ الْهُدَىٰ يَتَحَقَّقُ بِتَصْدِيقِ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ، وَامْتِثَالِ أَوَامِرِهِ، وَاجْتِنَابِ نَوَاهِيهِ.

الثَّالِثُ: مِمَّا يَصْرِفُ الْعَبْدَ عَنِ الشَّقَاءِ: تَحْقِيقُ تَقْوَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ. فَبِهَا الْيُسْرُ وَالرَّخَاءُ، وَالنَّجَاةُ مِنَ الشَّقَاءِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾.

وَمِنْ صَوَارِفِ الشَّقَاءِ: الصَّبْرُ. فَبِهِ تَنْقَلِبُ حَيَاةُ الْعَبْدِ مِنَ الشَّقَاءِ إِلَىٰ السَّعَادَةِ، وَمِنَ الضِّيقِ إِلَىٰ السَّعَةِ، وَمِنَ الضَّعْفِ إِلَىٰ الْقُوَّةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾.

وَمِنْ صَوَارِفِ الشَّقَاءِ: دُعَاءُ رَبِّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. قَالَ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾.